دروس وعبر
من
كلام سيد البشر ﷺ

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

دروس وعبر
من
كلام سيد البشر ﷺ

المؤلف الفقير إلى اللّه
عبدالعزيز ابن إبراهيم الدوسري/أبو عمر

دار المنتقى للنشر والتوزيع ـ الرياض

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

وبعد:

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هُود: ٨٨]

هذه الدروس والعبر من كلام سيد البشر محمد عليه الصلاة والسلام الذي أعطاه الله: صفوة آدم، وشجاعة نوح، وحلم إبراهيم، ولسان إسماعيل، ورضا إسحاق، وفصاحة صالح، وحكمة لقمان، وبشرى يعقوب، وصبر أيوب، فصدق الله سبحانه وتعالى فقال:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القَلَم: ٤]

فهذه الدروس والعبر القليلة التي وقع اختياري عليها من بين أحاديث الحبيب المحبوب والصادق المصدوق محمد ﷺ ما أردت بها إلا مواعظ لنفسي أولًا ثم لإخواني

المسلمين والمسلمات، آملًا الانتفاع بها ومحاولة العمل بها في هذه الحياة لقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٣٢]

ومن باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفَال: ٢٤].

وحذراً من مخالفة أمره في قوله تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النُّور: ٦٣].

فأسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا جميعاً بهذه الوصايا والعبر من كلام سيد البشر محمد ﷺ، فما كان فيها من صواب فمن الله سبحانه وتعالى وما كان فيها من خطأ فمن نفسي الخاطئة والشيطان.

اللهم اجعل هذه الوصايا والعبر حجة لنا لا علينا، واجعلها خالصة لوجهك الكريم.. والحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفقير إلى الله

عبدالعزيز ابن إبراهيم الدوسري

أبو عمر

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

إهـــداء

أهدي هذه العبر سائلًا المولى تبارك وتعالى أن يتقبلها ويجعلها خالصة لوجهه الكريم وفي موازين أعمالي يوم القيامة.. لزوجتي الغالية ووالدي ووالدتي وأولادي وبناتي وإخواني وأخواتي وجميع الأهل من الأجداد والأعمام والعمات والأخوال والخالات وجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات..

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد.

❁ ❁ ❁

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

الحديث الأول

عن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأنها موعظة مودّع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين: تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**».

[أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه البيهقي والترمذي].

فيا عبد الله وفقك الله..

تأثر بأصحاب رسول الله ﷺ.. كانوا يتأثرون بالمواعظ البليغة عندما يستمعون إليها من مربّيهم

وقائدهم رسول الله ﷺ، فتراهم منصتين وجلين وكأن على رؤوسهم الطير.

والسبب هو حبّهم لرسول الله ﷺ قائد البشرية لهذا الدين العظيم.

ولهذا عندما مات رسول الله ﷺ وانتقل إلى الرفيق الأعلى خيّم حزن شديد في قلوب الصحابة ﷺ وأرضاهم أجمعين لا يمكن لأحد أن يتصوره أبداً.

وآن الأوان أن نتصور كيف تأثر هؤلاء الصحابة بموعظة رسول الله ﷺ التي ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب بصورة فائقة ومؤثرة جداً.

فهناك الشعور بالإحساس المؤلم وهو قرب وفاته وأجله ﷺ، فقالوا وقلوبهم تتمزق: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودّع.. ثم طلبوا منه أن يزودهم بوصية تكون نصبَ أعينهم حتى يلتقوا به تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظلّ إلا ظله، فقالوا: فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «**أوصيكم بتقوى الله**».

فبدأ ﷺ بتقوى الله لأن هذه عادته في أكثر وصاياه، ولأن تقوى الله تعالى هي رأس الأمر كله. وهي وصية الله تعالى التي أوصى بها الذين أوتوا الكتاب من قبلنا فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النّساء: ١٣١].

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

ولأهمية التقوى ذكرها الله تعالى في آيات عديدة في محكم الكتاب، كما ذكرها مرتين في آية واحدة فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحشر: ١٨].

وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم يقول الله ﷻ: يا أيها الناس إني جعلت لي نسباً وجعلت لكم نسباً.. فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم.. قلت:** ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحُجرَات: ١٣] وأبيتم إلا فلان ابن فلان.. فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي.. أين المتقون؟ فينصب للمتقين لواء فيتبعون لواءهم فيدخلون الجنة بغير حساب»[1].

وقال أكثر المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].. أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي..

أسر المشركون ابنه سالماً.. فأتى الرسول ﷺ وشكا الفاقة إليه وقال: إن العدو أسر ابني وجزعت الأم، فبماذا تأمرنا؟ فقال الرسول ﷺ: «**اتَّقِ الله واصبر، وآمرك وإياها أن تكثرا من لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**» فعاد لبيته وقال لامرأته: إن رسول الله ﷺ أمرني وإياك أن نكثر

(١) الطبراني في الأوسط والصغير، والبيهقي مرفوعاً. وهو صحيح.

من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. قالت: فنعم ما أمرنا به.. فجعلا يقولانها، فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها إلى أبيه وهي أربعة آلاف شاة، فنزلت الآية المذكورة[1].

فاتَّقِ الله يا عبد الله حتى تصل إلى الله.

فإن هذا هو الطريق الموصل إلى جنات ربنا جنات النعيم، وحتى تكون بطلًا من أبطال الإسلام: ليس من يقطع طرقاً بطلًا إنما من يتقي الله هو البطل.. وحذارِ أن تكون من الذين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٦]، اتَّقِ الله والجأ إليه فإن في اللجوء إلى الله ومخافته الخير الكثير ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعرَاف: ٢٦].

وانتبه لهذه المقولة:

إذا المرء لم يلبس لباساً من التقى
تقلّب عرياناً ولو كان كاسيا
وخير لباس المرء طاعة ربِّهِ
ولا خير فيمن كان لله عاصيا

والسمع والطاعة: وتبيان ذلك في آيات الله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النِّساء: ٥٩]. فالطاعة في

(١) رواه ابن جرير مرسلاً.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

مراتب مختلفة. وطاعة الأمير واجبة لأنها أمر من الله سبحانه وتعالى بشرط أن تكون بطاعة الله لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وهذا بيان فيما قاله الصدِّيق رضي الله عنه بعد أن عُيِّن خليفة لرسول الله ﷺ فإنه قال في خطبته المشهورة: «أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم»(١).

وقال في خطبة أخرى: «إن استقمت فأطيعوني وإن زغت فقوِّموني»(٢).

ثم بيّن المصطفى عليه الصلاة والسلام بأنه ستكون من بعده اختلافات وتغيرات كثيرة، فقال وكأنه يرى بأبي هو وأمي: «**فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً**» وصدق الرسول ﷺ إذ أننا نرى الآن في زماننا هذا ما يؤكد كلامه، وهذا هو الضياع والغفلة المهلكة فعلًا.. من صلاة متروكة وزكاة ممنوعة، وقرآن مهجور، وتبرج ممقوت، ونساء وفتيات في الأسواق والمنتديات عن الدين خارجات، وارتكاب لكل أنواع الموبقات والمهلكات.. بل المصيبة الكبرى عندما تخنفس بعض

(١) ابن كثير في البداية والنهاية، والطبراني في تاريخه.
(٢) ابن كثير في البداية والنهاية وقال: هذا إسناد صحيح.

الشباب حتى أصبح كالإناث المستهترات بل أشد وأنكى.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكأني بالصحابة رضوان الله عليهم عندما حدّثهم المصطفى ﷺ عن هذا الزمان المرير وما فيه من تغيرات وضياع وشتات ذكّرهم الرسول ﷺ بمن سيأتي بعدهم وقال: «**فعليكم بسنتي**» وهي بإيجاز عام: اتِّباعه ﷺ في جميع أقواله وأفعاله، والتأسِّي به في أموره وأحواله ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وقال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤].

ولن تكون صادقاً في حبك لله إلا إذا اتبعت الرسول ﷺ، فقد قال الله تعالى في ذلك: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا بني إن استطعت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل**»، ثم قال: «**يا بني وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة**»، وقال ﷺ: «**من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مئة شهيد**»(١).

(١) رواه الطبراني والبيهقي.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

وأمر باتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ أجمعين، لأنهم ساروا على طريقته واتبعوا نهجه واقتفوا أثره وتمسكوا بهذا الطريق الذي خطه لهم ولغيرهم من المؤمنين والمؤمنات إلى قيام الساعة.

فلا بد لنا أن نتمسك بهذه السنة المحمدية ونعضَّ عليها بالنواجذ - وهي الأضراس، وقيل: الأنياب - والمراد بالعض: إمساك الشيء بجميع الفم.

فكأن رسول الله ﷺ يقول: الزموا السنة بقوله: «**عضوا عليها**» أي احرصوا عليها كما يحرص العاض على الشيء بنواجذه خوفاً من ذهابه وتفلُّته.

وحذر المصطفى ﷺ أصحابه وجميع المؤمنين بقوله: «**وإياكم ومحدثات الأمور**» وذلك حين ينقلب المعروف منكراً والمنكر معروفاً وتصبح السنة بدعة والبدعة سنة. وحسبنا ردعاً وكرهاً للبدعة قوله ﷺ: «**فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**».

وأقول ناصحاً غير آمر ومذكِّراً بكلام الكريم المنان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: ٦].. فلنتمسك بسنة حبيبنا

ونبينا وقائدنا وقدوتنا صلوات الله وسلامه عليه الذي يقول: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»(١).

❀ ❀ ❀

(١) رواه البخاري.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

الحديث الثاني

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**». [رواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما، وقال شارح الجامع: إسناده حسن].

فيا عبد الله:

هذه نصائح وعِبَر من خير البشر محمد ﷺ نصح بها هذا الرجل.. والتي جمعت فأوعت وحددت معالم الطريق، وبيّنت أسباب النجاة. فكم نحن بحاجة إلى هذه الأسباب التي إن تركناها ضللنا وإذا لم نهتدِ إليها وقعنا في متاهات كثيرة في هذه الحياة إلى أن نموت ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فلا بد يا عبد الله أن نكون أهلًا لما خلقنا الله من أجله

وهو العبادة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذّاريَات: ٥٦].

فتذكّر ذلك جيداً ونفِّذ موعظة رسول الله ﷺ في المحافظة على هذه الوصايا:

شبابك قبل هرمك:

فالإنسان لن يظلَّ متمتعاً بشبابه إلى أرذل العمر، وإنما هو كالنبات الذي ﴿يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ [الحَديد: ٢٠]

والله يبين ذلك فقد قال: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نـــوح: ١٧، ١٨]، وفي قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥].

وإن الإنسان خلق من سلالة من طين، ثم كان بعد ذلك نطفة في قرار مكين، ثم تقرأ بعد ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٤].

وهكذا فالإنسان في تطورات كثيرة وتغيرات ملموسة، فيكون طفلًا ثم تراه غلاماً، ثم رجلًا في سن الأربعين، ثم شيخاً كبيراً معمراً، وعندما يصل إلى هذا الحد لن يقوى

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

على السير إلا وهو يتوكأ على عصا، وبعضهم يحبو كما كان يحبو وهو طفل، وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يس: ٦٨]. ثم بعد ذلك انتقال وزوال وفناء إلى بطن الأرض كما خرج من بطن الأم التي هي أصلًا من سلالة من طين.

فلذلك لا بد يا عبد الله أن تقف على حقيقة هذه الحياة ولا تغتر بها وتشغلك عن الهدف الأسمى الذي من أجله خُلقت، وهو الرجوع إلى الله قبل فوات الأوان، فقد ورد في الحديث الشريف: «**ما من يوم تطلع فيه الشمس إلا وهو ينادي: يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فاغتنم مني فإني لن أعود إلى يوم القيامة**».

فيا عبد الله تفكّر وتذكّر! كم من شاب سبقك إلى الموت! فلا تغتر يا عبد الله.. لا تفرح بدنياك فلن تخلد فيها.. يا عبد الله استحِ من الله وكن ذلك الشاب الصالح حتى تكون من الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، واحذر أن تعق يومك وتظلم نفسك فأنت أحوج إلى كل لحظة من عمرك، وكما قيل:

ليس المصاب من فارق الأحباب

إن المصاب من فقد الثواب

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وصحتك قبل سقمك:

واعلم أيها المسكين أن الصحة والنشاط نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى عليك، فاغتنم هذه النعمة في طاعة الله والالتزام بدينه، وكن ذلك الشاب الذي ينشأ على طاعة الله وفي بيت من بيوت الله، ما دمت في وقت الإمهال والإمكان قبل أن تكبر أو يباغتك المرض في أي لحظة من لحظات حياتك.

فيا عبد الله.. إننا نمر في هذه الدنيا بمراحل كثيرة ومتنوعة، والإنسان كالوردة لا بد أن يذبل.. وكل يوم هو في حال، فمن صحة وعافية إلى سقم.. ومن فرح إلى حزن.. ومن اجتماع إلى فرقة. تلك هي طبيعة الحياة، بل هي سنة الله في خلقه. من أجل هذا لا بد أن يكون هناك انتهاز لفرصة عافية الإنسان قبل أن يصاب بمرض، وما أحوجنا إلى كل اللحظات في حياتنا الأولى لنجمع زاداً كثيراً، قبل أن يأتي ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٨].

وقبل أن تتحسر وتقول: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفَجر: ٢٤] فحافظ على صحتك محافظة جيدة وهلم بنا نقدم من الصالحات وفِعل الطاعات والعبادات ونتسابق في فضائل الأعمال منتفعين بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البَقَرَة: ١٩٧] وفقك الله ورعاك.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

وغناك قبل فقرك:

فيا أيها الحبيب.. كم من الناس كانوا يملكون وأصبحوا لا يملكون حتى القوت الضروري الذي ربما لا يحصلون عليه إلا بشق الأنفس..

وكم من الناس كانوا لا يملكون شيئاً وأصبحوا يملكون القناطير المقنطرة من الذهب والفضة.. وتلك هي طبيعة الدنيا.. إن طلبتها تركتك، وإن تركتَها طلبتك.

هي الدنيا تقول بملء فيها

حذار حذار من بطشي وفتكي

فلا يغرركمُ مني ابتسامٌ

فقولي مضحكٌ والفعلُ مبكي

وقيل أن رجلًا كان له صديق فقير فكان يعطيه من فضل الله الذي عنده، وبمرور الزمن انقلب الوضع: الغني أصبح فقيراً والفقير أصبح غنياً.. غير أن الأخير لم يكن أصيلًا ولم يذكر مروءة صديقه الذي كان يعطيه يوم أن كان محتاجاً، فإذا رآه حوّل وجهه حتى لا يراه فيضطر لإعطائه، وعندما تبيّن ذلك للصديق الأول قال له:

تراني مقبلاً فتصد عني

وتزعم أنني أبغي رضاك

سيغنيني الذي أغناك عني

فلا فقري يدوم ولا غناك

فإن كنت ممن أنعم الله عليهم فأغناك، فقدِّم خيراً لنفسك ينفعك ليوم القيامة، بل وسارع للعطاء والبذل ولا تتأخر لأنك لا تعلم كيف يكون حالك، وفي ذلك يقول الحكيم:

قدِّم لنفسك خيراً

وأنت مالكُ مالِك

من قبل تصبح فرداً

أي الممسالك سالك

إما لجنة عدنٍ

أو في المهالك هالك

وتذكّر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١١٠].. وحافظ على غناك وذلك بعدم الإسراف والتبذير، وتذكر أيضاً قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسرَاء: ٢٩].

واعلم أنه ما كان تبذير في كثيرٍ إلا هدمه ودمره، ولا دخل تدبير في قليل إلا كثره.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

وكان الصدّيق رضي الله عنه يقول: «إني لأبغض أهل بيت ينفقون رزق أيام في يوم واحد».

فاحرص على الدرهم إلا أن يكون في وجه من وجوه الخير، فبهذا تكن من العقلاء والحكماء. وتذكر قول رسول الله ﷺ: «**اليد العليا خير من اليد السفلى**»(١).

وقوله ﷺ: «**تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»(٢).

بارك الله لك في مالك وجعله عوناً لك في الدنيا والآخرة.

وفراغك قبل شغلك:

فأنت تعلم أخي في الله كم للوقت من قيمة عظيمة، فهو «كالسيف إن لم تقطعه قطعك»، وذلك لأن العمر قصير واللحظات محسوبة عليك، والواجبات أكثر من الأوقات، واللحظة التي تمضي لن تعود، ولن يعرف الإنسان قيمتها إلا يوم الحساب الذي يجب أن نعمل له ألف حساب ونعدّ لذلك اليوم عدّته.

فلا بد أن نغتنم فرصة الفراغ.. فربما لا يستطيع أحدنا بعد ذلك أن يعمل بنفس الطاقة والقوة التي كان

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط بإسناد حسن.

يعمل بها قبل ذلك بسبب عدم الفراغ أو كبر السن أو كثرة المشاغل أو أمور أخرى دنيوية.. إلخ.

واعلم أن الأيام ستنقضي لكي يجد المرء نفسه أمام الله في موقف خطير سيُسأل فيه عن كل شيء فعله في هذه الحياة، وعن كل لحظة قضاها. وتأمل معي قول المصطفى ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل به؟**»(١).

فاحذر ضياع الوقت فالوقت من ذهب، واغتنم فرصة فراغك فيما ينفعك في حياتك الأخرى وما يترك لك أثراً صالحاً في حياتك الأولى، وتأمل قول القائل:

دقات قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثوانِ
فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها
فالذكر للإنسان عمر ثانِ

عبد الله!

تذكّر الحساب ودقته.. والموت وسكرته.. والقبر وضمته.. يرحمك الله.

(١) رواه الترمذي.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

وحياتك قبل موتك:

عبد الله..

أما الموت فهو نهاية المطاف الدنيوي.. وهو حكم الله تعالى في جميع خلقه بعد انتهاء آجالهم ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرّعد: ٣٨].

والله سبحانه وتعالى بيَّن ذلك في محكم البيان فقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرّحمن: ٢٦، ٢٧].

وقال جلَّ من قائل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٥].

وقال الله سبحانه وتعالى لنبيِّه محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزُّمَر: ٣٠].

فالموت نهاية كل حي، وقد جعله الله ابتلاء وسماه سبحانه وتعالى مصيبة في قوله: ﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ [المَائدة: ١٠٦].

وذلك لأنه تبدل من حال إلى حال وانتقال من دار إلى دار، من دار العمل إلى دار الحساب، ولهذا قال ﷺ: «**الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت**»(١).

(١) رواه الترمذي.

وسئل ﷺ: أي المؤمنين أفضل؟ قال: «**أحسنهم خلقاً**»، قيل: أي المؤمنين أكيس؟ قال: «**أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم له استعداداً**»(١).

وليس الموت هو نهاية المطاف، بل هو مرحلة انتقال. ولذلك يقول ربنا تبارك وتعالى بعد أن حدثنا عن مراحل خلق الإنسان: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥﴾ [المؤمنون: ١٥]، ثم يقول تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦﴾ [المؤمنون: ١٦].

وهذا أهم ما يجب علينا أن نركز عليه إذا أردنا أن نخرج من هذه الدنيا وقد رضي الله عنا وغفر لنا، ولكي يكون هناك إيقاظ وتذكير قبل فوات الأوان وقبل انتقالنا من دار العمل إلى دار الحساب بدون رصيد من الحسنات، ينجينا من أهوال يوم القيامة.

وحسبنا الحديث الطويل عن البراء بن عازب رضي الله عنه وهو يقول: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**» مرتين أو ثلاثاً ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في**

(١) روي عن ابن مسعود رضي الله عنه.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان» قال: «فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض» قال: «فيصعدون بها فلا يمرّون يعني بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى» قال: «فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت. فينادي مناد في السماء: أن

صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره» قال: «ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرُّك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: ربِّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي».

قال: «وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب» قال: «فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

ولنعلم أن لأهل القبور حياة بها يدرك أثر النعيم والعذاب ولو تفتتت أجسادهم، وهو أمر غيبي لا نبحث عن كيفيته، وحال صاحبه كحال النائم يرى الملاذّ والمؤلمات ولا يرى من بجواره شيئاً، وقد سُتر عنا رحمةً بنا لقول رسول الله ﷺ: «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر**»(١). فإن كان هذا هو حال أهل القبور فما بالك بما سيكون بعد ذلك من بعث وحشر وحساب وميزان وصراط... إلخ، ثم ما بعد ذلك من جنة أو نار.

عبد الله!

كانوا يعملون لهذا اليوم ألف حساب، وكانوا يخافون من لقاء الله سبحانه وتعالى خوفاً شديداً.

واعلم يرحمك الله أن الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان حراً قرشياً، وتذكر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١ ـ ١٠٣].

(١) أخرجه أحمد ومسلم والنسائي.

عبد الله!

قف وتذكَّر وتأمل.. أما كان رسول الله ﷺ يقول: «**إني لأخوفكم من الله وأشدكم له خشية**»(١)؟ وأنه ﷺ قال لابنته فاطمة رضي الله عنها: «**اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئاً**»(٢).

وأن الصدِّيق رضي الله عنه قال: «لو كانت إحدى رجلي في الجنة والأخرى على بابها ما أمنت من مكر الله»، وأن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه كان يخاف من لقاء الله تعالى خوفاً شديداً وكان دائم البكاء وكان في وجهه خطان أسودان من كثرة انحدار الدموع، ودائماً يقول: «يا ليت أمي لم تلدني» و«يا ليتني شعرة في صدر أبي بكر» رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

فيا أخا الإسلام:

اغتنم فرصة وجودك في هذه الحياة واحذر أن يفوتك القطار.. وكن مستعداً للقاء الله سبحانه وتعالى وتزوّد لهذا اللقاء حتى إذا فارقت الدنيا كنت فرحاً به كبلال رضي الله عنه، فقد روي أنه عندما كان يحتضر كانت ابنته تبكي وتقول: وا أبتاه وا كرباه وا حزناه، وعندما انتبه لقولها وكلامها زجرها

(١) حديث حسن.
(٢) متفق عليه.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

ثم قال: «لا تقولي ذلك، لا كرب على أبيك بعد اليوم. غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه».. فكن محباً للقاء الله، فقد ورد في الحديث: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه**».

أخي في الله:

هذه مواقف مثيرة تهزُّ المشاعر المؤمنة وتحرك القلوب السليمة.

وختاماً أسوق لك هذا الحديث عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي. يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك.. يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**»(١).

فلا تقنط من رحمة الله وأكثر من الاستغفار وهو طلب المغفرة منه سبحانه وتعالى ثم التوبة إليه ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [هُود: ٣].

وليكن مثلك وقدوتك سيد المستغفرين محمد عليه الصلاة والسلام.

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وفقك الله ورزقك توبة صادقة، وختم لنا ولك بخاتمة السعادة.. آمين.

❀ ❀ ❀

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

الحديث الثالث

عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه: قال: يا رسول الله أوصني، قال: «**اعبد الله كأنك تراه، وأعدد نفسك في الموتى، وإن شئت أنبأتك بما هو أملك بك من هذا كله**، قال: **هذا**، وأشار بيده إلى لسانه».

[رواه ابن أبي الدنيا بإسناد صحيح].

أن تعبد الله كأنك تراه:

وهذه الأولى من أهم العناصر في الوصية ولا بد من تحقيقها في بناء العقيدة الإسلامية الراسخة.

أن تراقب الله سبحانه وتعالى في جميع أعمالك الدنيوية والأخروية حتى يتحقق الإحسان الذي عناه رسول الله ﷺ عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» وهذا هو مقام المشاهدة.

ولا شك يا عبد الله أن وصية رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل وصية ثمينة نفيسة. كيف لا وهو يدلّه على الخير ويحثه على نيل شرف العبودية لله رب العالمين.. وأن تعلم أن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، كما قال في مقام الوحي: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠]، وفي مقام التبليغ: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩].

فتأمل هذا المعنى الكبير حتى تكون متباهياً كالعبد الفخور بعبوديته لله سبحانه وتعالى:

ومما زادني شرفاً وتيهاً

وكدت بأخمصي أطأ الثريّا

دخولي تحت قولك يا عبادي

وأن صيرت أحمد لي نبيا

فيا عبد الله اعبد الله حق العبادة كأنك تراه يراقبك ويعلم سرَّك ونجواك، واعلم أنك بمراقبتك لله تعالى ستصل إلى درجة العارفين به، والتي إن وصلت إليها كنت من أسعد السعداء في الدنيا والآخرة الذين يصلون إلى بر الأمان في سفينة الإيمان تحت راية الإحسان، وكما ورد في الأثر: العلم نهر، والحكمة بحر، فالعلماء حول النهر يطوفون، والحكماء وسط البحر يغوصون، والعارفون في سفن النجاة يسيرون.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

وكم حقق أتباع الرسول ﷺ من الصحابة رضي الله عنهم جميعاً وغيرهم هذه المعاني من عبادة الله ومراقبته.. بما كان فيها من الصدق والإخلاص، وقد علم الله سبحانه وتعالى مصداق ذلك فامتدحهم وقال في محكم البيان: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، فهم أبطال الإسلام وناشرو دعوته وحاملو رايته.

فيا عبد الله..

حقق هذه العبادة وكن ممن يراقب الله في جميع حركاته وسكناته.. وكن عارفاً بالله سبحانه وتعالى. فإذا ذكرت الله افتخر، وإذا نظرت لآيات الله اعتبر، وإذا هممت بمعصية أو شهوة انزجر، وإذا ذكرت ذنوبك استغفر، وكلما ذكرت عفو الله استبشر. فكن من هؤلاء العارفين الذين انتفعوا وكانوا هداة مهتدين ببركة مراقبة الله في الظاهر والباطن حتى أصبحت الدنيا طوع إرادتهم وتحت تصرفهم ودانت لهم الأمم وخضعت لسلطانهم الرقاب، وكان فضل الله عليهم عظيماً.

فلنكن من هؤلاء، وتأمل قول القائل:

وتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التشبه بالكرام فلاحُ

أين نحن من علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي مثل في

محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين ويقول: يا دنيا غرِّي غيري. إليَّ تعرضت؟ أم إليّ تشوقتِ؟ هيهات هيهات قد باينتُكِ ثلاثاً لا رجعة فيها.. فعمرك قصير، وخطرك حقير.. آه من قلة الزاد وبُعد السفر، ووحشة الطريق.

انظر يا أخي كيف لعبت المعرفة في حياة علي رضي الله عنه دوراً كبيراً حتى أصبح بطلًا من أبطال الإسلام وعلَماً من أعلامه، أرأيت المراقبة في كل شيء: صغير أو كبير.. قليل أو كثير.. سراً أو جهراً.. وفي سائر أعمالك وأقوالك يا عبد الله اتَّقِ الله حق التقوى وراقب الله سبحانه وتعالى حق المراقبة في جميع أمورك كلها وعلى الدوام إلى أن يتوفاك الله سبحانه وتعالى، رزقك الله حسن الختام.

وإعداد نفسك في الموتى:

ولا شك أن الرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه قد أوجز هذا في حديث صحيح وقال لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»(١).

ولهذا كان ابن عمر يقول بعد هذا واعظاً غيره: «**إذا**

(١) جزء من حديث صحيح رواه البخاري.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»[1].

وهذا هو المعنى الكبير الذي أراد الرسول ﷺ أن يلفت القلوب إليه.. حتى لا يكون هناك مكان للدنيا فيها..

تلك الدنيا يا عبد الله التي قال الله سبحانه وتعالى عنها: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحَديد: ٢٠]، فلا تغتر بهذه الدنيا فمتاعها قليل، واعلم أنك مودع لها ولست مخلداً فيها، ولو كانت باقية لأحد لما ودعها حبيبك المصطفى ﷺ، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٥].

إذاً كلنا سنكون في عداد الموتى.. وكلٌّ سيموت ويفنى.. يا عبد الله فاستعد لما بعد الموت وأهواله وقدم لنفسك ما ينفعك وما يسرك حتى تلقى الله سبحانه وتعالى وهو عنك راضٍ وتحشر مع الأنبياء والصدِّيقين والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

(١) جزء من حديث صحيح رواه البخاري.

وتأمّل معي أخي في الله ما قاله علي رضي الله تعالى عنه: «اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت، وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها.. فلا تغرنكم الحياة الدنيا.. فإنها دار بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها إلى زوال وهي بين أهلها دول وسجال.. لا تدوم أحوالها ولن يسلم من شر نزالها».

وتأمل أيضاً فيما قاله عمر بن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنه في خطبة له: «أيها الناس إنكم لم تُخلقوا عبثاً، ولم تتركوا سدى، وإن لكم معاداً يجمعكم الله ﷻ في الحكم فيكم، والفصل بينكم، فخاب وشقي عبد أخرجه الله ﷻ من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والأرض، وأين يكون الأمان غداً؟ لمن خاف الله تعالى واتقى، وباع قليلًا بكثير وفانياً بباقٍ وشقاوة بسعادة.

ألا ترون أنكم في كل يوم تشيعون غادياً رائحاً قد قضى نحبه، وانقطع أمله، فتضعونه في بطن صدع من الأرض، غير موصد ولا ممهد، قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وواجهه الحساب».

وأودُّ أن أذكِّرك بقول الرسول ﷺ في خطبة له بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه: «**أيها الناس: إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم،**

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

إن المؤمن بين مخافتين.. بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانعه فيه، وبين آجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه؛ فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت، والذي نفس محمد بيده: ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار»[1].

ومما تأثرت به كثيراً هذه الموعظة التي تضع النقاط على الحروف: قال سليمان بن عبدالملك لابن حازم وقد كان من العلماء العاملين: ما لنا نكره الموت؟

قال: لأنكم عمرتم دنياكم، وخربتم آخرتكم، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب..

قال: فما قدومنا على الآخرة؟

قال: يختلف باختلاف العبيد: فالعارف بالله، المخلص لمولاه: يكون قدومه على الدار الآخرة كقدوم الطفل الوحيد على أمه.. يعود إليها بعد طول غياب. وأما المفرط في جنب الله يكون قدومه على الدار الآخرة كما يقدم العبد الآبق من سيده يجيء إليه وهو موثق بالأغلال.

قال سليمان: فما لنا عند الله؟

(١) ذكره أبو بكر الباقلاني في كتابه «إعجاز القرآن».

قال: اعرض نفسك على كتاب الله.

قال: في أي موضع أصيب ذلك؟

قال: اقرأ قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

قال سليمان: يا أبا حازم.. أقم عندنا فنصيب منك.

قال: أخاف أن أركن إلى الذين ظلموا فتمسني النار.

قال سليمان: خذ هذا المال..

قال أبو حازم: مالي خير من مالكم..

قال سليمان: وما مالك؟

قال: الثقة بالله، والاعتماد على الله، والرضا بما عند الله..

وإليك هذا النداء يا عبد الله:

ولدتك أمك يا ابن آدم باكياً
والناس حولك يضحكون سرورا
فاعمل ليوم أن تكون إذا بكوا
في يوم موتك ضاحكاً مسرورا

ولا يفوتني أن أذكِّرك بقول رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله**» قيل: وكيف يستعمله

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

يا رسول الله؟ قال: «**يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه**»(١).

فطوبى لعبد أيقن أنه ميت ومنقول.. وعلى الأكتاف محمول.. وتحت التراب مدفون.. فقدِّم لنفسك يا عبد الله قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون. وفقك الله لكل خير..

أما الثالثة يا عبد الله:

ركز عليها رسول الله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه بقوله: «**وإن شئت أنبأتك بما هو أملك بك من هذا كله؟** قال: **هذا.**» وأشار بيده إلى لسانه» وذلك لأن اللسان أخطر عضو في الجسد ولهذا جعله الله داخل قفصين من العظم واللحم. ولهذا أيضاً كان أفضل المسلمين: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**»(٢)، وكان ﷺ يقول: «**طوبى لمن ملك لسانه، ووسِعه بيته، وبكى على خطيئته**»(٣).

وحسبي أن أذكِّرك بهذا العرض الموجز وأن أسوق إليك هذا الحديث الذي يرويه معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه فيقول: قلت: يا رسول الله أخبرني بعمل

(١) رواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما، ورواه أحمد والترمذي وابن حبان، وقال شارح الجامع: إسناده صحيح.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

يدخلني الجنة، ويباعدني عن النار. قال ﷺ: «**لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسَّره الله عليه.. تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت**» ثم قال: «**ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جُنة، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل**»(١) ثم تلا قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السَّجدة: ١٦، ١٧].

ثم قال: «**ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟**» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**».

ثم قال: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟**» قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه وقال: «**كفّ عليك هذا**» قلت: يا نبي الله.. أو إنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «**ثكلتك أمك.. وهل يكب الناس في النار على وجوههم** - أو قال: **على مناخرهم** - إلا حصائد ألسنتهم؟».

فيا عبد الله:

الزم الصمت فإنه يكسبك صفو المحبة ويؤمنك سوء

(١) في رواية أخرى: «**ألا أدلك على أبواب الجنة**».

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

المغبة، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مؤنة الاعتذار، وأعقل لسانك إلا على حق توضحه، أو باطل تدحضه، أو حكمة تنشرها، أو نعمة تذكرها[١].

ولا تنسَ قول رسول الله ﷺ: «**كل كلام ابن آدم عليه لا له.. إلا أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو ذكر الله**»[٢].

وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[٣].

وكلنا ذو خطأ وزلل نسأل الله أن يسددنا وإياك للصواب.

واعلم يرحمك الله:

أن أهل العلم يقولون: ينبغي على كل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً تظهر فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركُه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه.. ويقول الإمام الشافعي رضي الله عنه: «إذا أراد الإنسان أن يتكلم فعليه أن يفكر قبل كلامه.. فإن ظهرت المصلحة تكلم وإن شك لم يتكلم حتى تظهر».

(١) من أقوال الحكماء.
(٢) رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: حديث غريب.
(٣) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

فتذكر كلَّ هذا يا عبد الله واحذر من قبيح الكلام فإنه ينفر عنك الكرام ويغري بك اللئام، احذر أن تغتاب إنساناً، فقد ورد في الحديث الشريف: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**ذكرك أخاك بما تكره**» قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتَه، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتَّه**»[١].

وعليك أخي في الله أن تلاحظ أن الغيبة كما تكون باللسان تكون بالكتابة والإشارة بالعين أو اليد وهكذا..

وإليك ما ورد من سنن أبي داود عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا.. قال بعض الرواة: تعني قصيرة، فقال النبي ﷺ: «**لقد قلتِ كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**»[٢].

وفي حديث آخر: «**مررتُ ليلة أسري بي على أقوام يخمشون وجوههم بأظفارهم.. قلت: يا جبريل! من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم**»[٣].

وفي رواية أخرى: «**ليلة أسري به مررت في السماء**

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.
(٢) رواه أبو داود والترمذي والبيهقي.
(٣) حسن صحيح، رواه أبو داود.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

الدنيا بقوم يقطع اللحم من جنوبهم ثم يلقمونه، فيقال لهم: كلوا ما كنتم تأكلون من لحم إخوانكم.. قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون».

وتذكّر قول البارىء جل جلاله: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحُجرَات: ١٢].

فاتَّقِ الله يا عبد الله وتجنب هذه الصفات الذميمة التي حذر منها المصطفى ﷺ، وكن ذلك الإنسان العابد التقي الذاكر الحافظ للسانه إلا فيما يحب ربنا ويرضاه..

وبارك الله فيك..

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

الحديث الرابع

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن؟**» فقال أبو هريرة: قلت: أنا يا رسول الله.. فأخذ بيده فعدَّ خمساً فقال: «**اتَّقِ المحارم تكن أعبد الناس، وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**».

[رواه الترمذي].

فيا أخا الإسلام..

هلا عملنا جميعاً بهذه الدروس والعبر المحمدية التي إن كنت من أهلها كنت من أولي الألباب وكنت من الذين: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]. فهذا أبو هريرة رضي الله عنه فاز وسعد عندما وضع يده في يد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه

يزوِّده بهذه النصائح الغالية التي تشدُّ من أجلها الرحال، وتنفَق في سبيلها الأموال، وتقطَع في طلبها آلاف الأميال.

فأنت يا عبد الله باستطاعتك كذلك أن تتصور نفسك وقد تشرفت بوضع يدك في يد الحبيب صلوات الله وسلامه عليه وهو يوصيك بقوله:

«**اتَّق المحارم تكن أعبد الناس**»:

ولن تكون عبداً حقيقياً لله تعالى إلا إذا اجتنبتَ محارمه.. وهي المعاصي والمنهيات، وجميع أنواع المحرمات، وإلا كنتَ من العصاة المذنبين.

فحذار أن تلحق ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

وحتى لا تكون من أهل الخسران، إليك بعض النصوص القرآنية والنبوية التي ستقف فيها على أهم الأوامر والنواهي التي تجب على عباد الله المتقين، فيجب أن تعرفها وتقف على أبعادها وأسرارها، حتى تكون مطبقاً ومنفذاً لما فيها وفي غيرها من أوامر، ومجتنباً لجميع المنهيات:

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: ١٥١].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

ويقول ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»(١).

وقال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» - ثلاثاً -، «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين.. ألا وشهادة الزور**» وكان متكئاً فجلس، فما زال يكررها حتى قلنا ليته يسكت(٢).

وقال ﷺ: «**العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى.. ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه**»(٣).

ويقول ﷺ: «**لا يخلونّ رجل بامرأة إلا مع ذي محرم**»(٤).

وحسبي أخي الكريم في هذا العرض الموجز لأهم هذه

(١)(٢)(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

النصوص أن أضيف عليها هذا النص الجامع الذي يحدثنا الله سبحانه وتعالى فيه عن عباده الذين يستحقون رحمته، فيقول تشريفاً لهم بانتسابهم إليه: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٠].

فإذا أردت أن تكون من عباد الرحمن الذين وقفت على أهم صفاتهم لا بد أن تكون مثلهم أو على الأقل شبيهاً بهم في جميع حركاتهم وسكناتهم. وكل إنسان يستطيع بتوفيق الله سبحانه وتعالى أن يكون كهؤلاء الأبرار الذين فازوا وسعدوا برضوان الله تعالى عليهم.. وذلك بالنية الصادقة، والعزيمة القوية على فعل الخيرات وترك المنكرات.

مع ضرورة الاتقاء والابتعاد عن الشبهات بين الحلال والحرام حتى يسلم الإنسان من الشبهة، فالحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات. واختلف العلماء في معنى الشبهة المذكورة في الحديث نفسه، والله أعلم.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

ونصيحة أرجو الله أن ينفع بها: إياك أن تحتقر ذنباً وإن كان صغيراً، فمعظم النار من مستصغر الشرر. وفي الحديث الشريف: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه..**»(١).

وورد أيضاً: «**يا عائشة.. إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالباً**»(٢).

وانتبه أن تقع في شباك الشيطان فالله حذرنا منه فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]، وقال: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

فيا عبد الله: كن من الأتقياء الأنقياء ومن الأبرار المتقين يرعاك الله.

«وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس»:

وليس معنى ذلك أن تكون منزوياً في زاوية الحرمان، وإنما المراد من هذه النصيحة المحمدية أن تأخذ بالأسباب كما أمرك الله تعالى في قوله: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ [الجمعة: ١٠].

(١) رواه أحمد والطبراني والبيهقي.

(٢) رواه النسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه.

فأنت يا عبد الله.. مطالب بالأخذ بالأسباب طلباً للرزق مع تفويض الأمر لله سبحانه وتعالى.

والله هو الرزاق ذو القوة المتين الذي رزق جميع الناس في هذه الدنيا ولم يترك أحداً، فهو سبحانه وتعالى القائل: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦].

واعلم بارك الله فيك حتى تعتز بشخصيتك أن ما من نبي من الأنبياء، ولا عالم من المتقدمين إلا وله صنعة يعملها بيده.

وفي هذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما عندما سئل عن صنائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: كان آدم حراثاً، وإدريس خياطاً مع كونه ملكاً عظيماً وحكيماً فريداً، وهو أول من خاط الثياب ولبس المخيط، وكان لا يغفل عن ذكر الله تعالى أثناء خياطته، ونوح نجاراً، وهود تاجراً، وإبراهيم زارعاً، وإسماعيل قناصاً، وإسحاق راعياً، وكذلك يعقوب وشعيب وموسى، وكان يوسف مشتغلاً بصناعة الساعات، وهارون وزيراً، وإلياس نساجاً، وكان أشرف الخلق محمد عليه الصلاة والسلام تاجراً ومجاهداً في سبيل الله، وكان ﷺ يحب السعي في أول النهار في طلب الرزق من حوائج الدنيا، ويقول: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**»(١)، ويقول مرغباً في السعي على الرزق: «**ما أكل**

(١) من حديث رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده»[١].

وقال ﷺ: «**لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس: أعطوه أو منعوه**»[٢].

فاذكر كل ذلك يا عبد الله ولتعلم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وأن الله يرزق الناس بعضهم من بعض. فتوكل على الله حق التوكل وارضَ بما قسم الله لك، واشكره على ما أعطاك من النعم الكثيرة التي لا تعدُّ ولا تحصى.

فنحن يا عبد الله فقراء والله هو الغني الحميد، جعلك الله ممن رضي بما قسم الله له.

«وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً»:

أما جارك يا أخي في الله فعليك أن تحسن إليه كما أوصاك الرسول ﷺ، وهذا هو الذي يوصلك إلى درجة الإيمان، فجارك أقرب إليك من أهلك وعشيرتك، وهو عونك وساعدك الأيمن في أفراحك وأحزانك، ولذلك كان رسول الله ﷺ يحذِّر من إيذاء الجار فيقول: «**والله لا يؤمن.. والله لا يؤمن.. والله لا يؤمن**» قيل: يا رسول الله.. لقد خاب وخسر، من هذا؟ قال: «**من لا يأمن جاره بوائقه**» قالوا: وما بوائقه؟ قال: «**شره**»[٣].

(١)(٢)(٣) رواه البخاري.

وقال رسول الله ﷺ: «**ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم**»[١].

وقال ﷺ: «**كم من جار متعلق بجاره يقول: يا رب.. سل هذا.. لم أغلق بابه عني، ومنعني فضله**»[٢].

وقال رجل: يا رسول الله! إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقاتها وصيامها.. غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «**هي في النار**»، قال: يا رسول الله! فإن فلانة تذكر من قلة صيامها وصلاتها وإنها تتصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها، قال: «**هي في الجنة**». [رواه أحمد والبزار وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ورواه أبو بكر بن أبي شيبة وصححه أيضاً].

ولفظ بعضهم: قال: يا رسول الله فلانة تصوم النهار، وتقوم الليل وتؤذي جيرانها.. قال: «**هي في النار**»، قالوا: يا رسول الله! فلانة تصلي المكتوبات وتتصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها.. قال: «**هي في الجنة**».

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ على ناقته في حجة الوداع يقول: «**أوصيكم بالجار**» حتى أكثر، فقلت أنه يورثه»[٣].

(١) رواه الطبراني والبزار، وإسناده حسن.
(٢) رواه الطبراني وأبو يعلى، ورواه الحاكم من حديث عائشة.
(٣) رواه الطبراني بإسناد جيد.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

فاذكر كل هذا بارك الله فيك حتى تحسن إلى جارك فتكون مؤمناً، وحسبك أن تصل إلى هذه الدرجة العظيمة.. فإن وصلت إليها كنت من المؤمنين حقاً وهم أولياء الله الذين ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

وجملة حق الجار أن تبدأه بالسلام، ولا تطل معه الكلام، ولا تكثر عن حاله السؤال، وتعوده في المرض، وتعزيه في المصيبة، وتقوم عنه في العزاء، وتهنئه في الفرح، وتصفح عن زلاته، ولا تتطلع لعوراته، وترشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه.

ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**من أراد الله به خيراً عسّله**» قيل: وما عسّله؟ قال: «**يحببه إلى جيرانه**»(١).

بارك الله فيك وغفر لك..

«**وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً**»:

أخي في الله.. ويكفيك فخراً ما قاله الرسول ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(٢).

وهذا عنصر هام جداً لا يدوم التراحم والتعاطف بين المؤمنين إلا به، وهذا الحديث إنما هو توجيه لجميع الناس

(١) رواه أحمد والخرائطي والبيهقي.
(٢) متفق عليه.

للاقتداء به، كيف لا وهو من أفضل الخلق وسيد المرسلين محمد ﷺ.

ومن الوصايا المهمة أسوقها إليك:

أن تسلِّم عليه إذا لقيته، وتجيبه إذا دعاك، وتشمته إذا عطس، وتعوده إذا مرض، وتشهد جنازته، وتبر قسمه إذا أقسم عليك، وتنصح له إذا استنصحك، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك، وتحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك.. وهذا ما أشار إليه رسول الهدى محمد ﷺ.

والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً، ولا يفوتني أيضاً أن أذكِّرك بقول رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد**»(١)، فلا تتكبر ولا تهجر ولا تخاصم ولا تظلم، واعف واصفح واغفر، ولا تنسَ أن تساعد وتمدَّ يد العون لكل مسلم إن استطعت إلى ذلك سبيلًا، وتذكر ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**»(٢).

(١) رواه أبو داود وابن ماجه واللفظ له من حديث عياض بن حمار.
(٢) متفق عليه.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

واذكر هذه البشارة دائماً.. قول رسول الله ﷺ: «**من سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وليؤتِ إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه**»(١).

جعلني الله وإياك ممن يحب المسلمين ويساعدهم وينفس كربهم ويفرج همومهم، وأن يجعلنا وإياك مفاتيح للخير مغاليق للشر، ومن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.. وفقك الله.

«ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب»:

وفي آخر هذا الحديث لرسول الله ﷺ.. نهاك عن كثرة الضحك، كما حذرك في وصية أخرى قال فيها لأبي ذر رضي الله تعالى عنه: «**وإياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب، ويذهب بنور الوجه**». والسبب في هذا النهي والتحذير الذي وجهه إلينا جميعاً في شخص أبي ذر رضي الله عنه كما رأيت هو صيانة القلب وحمايته من أسباب الهلاك.. وذلك لأن القلب هو مركز الحياة بالنسبة لجميع الأعضاء كما جاء في الحديث الشريف قال فيه صلوات الله وسلامه عليه: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله.. ألا وهي القلب**».

(١) رواه مسلم بنحوه، والخرائطي بلفظه.

يا عبد الله!

المنهي عنه هو الإكثار من الضحك، وحتى لا تفهم عكس ذلك فتكون عبوساً إليك هذه الأحاديث الثلاثة:

عن جابر بن سمرة قال: «كان رسول الله ﷺ لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت الشمس قام.. وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون فيبتسم رسول الله ﷺ»(١).

وعن قتادة قال: سئل ابن عمر: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل.

وقال بلال بن سعد: «أدركتهم يشتدون بين الأغراض ويضحك بعضهم إلى بعض.. فإذا كان الليل كانوا رهباناً»(٢).

ولقد كان رسول الله ﷺ أكثر أصحابه تبسماً، وقد ورد في هذا: عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ(٣).

(١) رواه مسلم والترمذي.
(٢) رواه في شرح السنة.
(٣) رواه الترمذي.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

وعن جرير قال: «ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت النبي ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته.. إنما كان يتبسم عليه الصلاة والسلام»(٢).

أخي في الله!

كما كان ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً.. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا.. قال: «**إني لا أقول إلا حقاً**»(٣).

وعن أنس قال: إن كان النبي ﷺ ليخاطبنا حتى يقول لأخ له صغير: «**يا أبا عمير.. ما فعل النغير؟**» وكان له نغير يلعب به فمات(٤).

لاحظ كل هذا وكن بساماً ولا تكن ضحاكاً.

فانتبه يا عبد الله لهذا وحقق وصية رسول الله ﷺ.. وحتى تقلِّل من الضحك تذكَّر دائماً نهايتك وما بعدها من حساب وعقاب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) متفق عليه.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) متفق عليه.

واستمع لحديث رسول الله ﷺ لعل الله أن يفتح به قلوبنا أجمعين:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون. أطت السماء وحق لها أن تئط.. والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله.. ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرشات، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله**». قال أبو ذر: ليتني كنت شجرة تعضد(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً**»(٢).

واسمع لمن قال:

أما والله لو علم الأنامُ
لما خلقوا لما غفلوا وناموا
لقد خُلقوا ليومٍ لو رأته
عيون قلوبِهم ساحوا وهاموا

(١) رواه أحمد والترمذي.
(٢) رواه البخاري.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

مـمـاتٌ ثـم حـشـرٌ ثـم نـشـرٌ
وتـوبـيـخ وأهـوالٌ عـظـامُ
لـيـومِ الـحـشـر قـد عـمـلـت أنـاس
فـصـلّـوا مـن مـخـافـتـه وصـامـوا
ونـحـن إذا أمـرنـا أو نـهـيـنـا
كـأهـل الـكـهـف أيـقـاظٌ نـيـامُ

ولهذا.. من الكياسة أن يكون الإنسان متصوراً نهايته وما فيها من أهوال حتى لا يكون لاهياً أو غافلًا.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الأحبار: حدِّثني عن الموت..

فقال: كأنه غصن شوك أدخل في جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم أخذها رجل شديد الجذب فقطع منها ما قطع وأبقى ما أبقى.

ويقال: ما من ميت يموت إلا وعرض عليه الحياة والرجوع إلى الدنيا فيكره الرجوع إليها لما لقي من شدة الموت إلا الشهداء، فإنهم لم يجدوا شدة الموت فيتمنون الرجوع لكي يقاتلوا ثانياً.

واحذر يا أخي في الله أن تكون مضحكاً لغيرك

حتى لا تكون سبباً في غفلته فتكون من أهل الويل. وحسبك تحذيراً وتذكيراً هذان الحديثان بارك الله فيك:

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال ﷺ: «**ويل لمن يحدثك فيكذب ليضحك به القوم.. ويل له.. ويل له**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد ليقول الكلمة لا يقولها إلا ليضحك الناس يهوي بها أبعد مما بين السماء والأرض.. إنه ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدمه**»(٢).

فانتبه حفظك الله وحافظ على قلبك حتى لا يموت.. ولا تكثر من الضحك لما فيه من مفاسد كثيرة، وحتى لا نقع جميعاً فيما حذر منه ﷺ.. جعلني الله وإياك في جنات النعيم.

❀ ❀ ❀

(١)(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

الحديث الخامس

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:
«لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي».

[رواه أبو داود والترمذي بإسناد لا بأس به].

يا عبد الله..

كن ذلك العبد الصالح الذي وجه إليه المصطفى ﷺ هذه النصيحة الجامعة التي تعتبر أساساً لاستمرار السعادة الفردية والجماعية.

«لا تصاحب إلا مؤمناً»:

أي لا تصاحب إلا من اجتمعت فيه خصال المؤمنين ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [الأنفال: ٢، ٣].

وكذلك: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ

عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [المؤمنون: ٢ ـ ٩].

وذلك يا عبد الله لأن مصاحبة المؤمن الذي تجتمع فيه هذه الخصال والصفات الحميدة، ستكون نافعة لك في كل الأعمال والأقوال وجميع العبادات؛ لأن المؤمن لا يهديك إلا إلى منفعة.. إذا شاورته نفعك وإن شاركته نفعك وإن ماشيته نفعك، فأمره كله منفعة يشد من أزرك ويكون عوناً لك في كل خير.

ويكفيك أنك إذا احتجت المعونة أعانك وإذا نسيت الله ذكّرك.

في هذا قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»**(١).

وقال ﷺ: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**(٢).

فالرسول ﷺ أمر بمصاحبة المؤمن، والسبب في هذا

(١)(٢) رواه مسلم.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

كله هو أن المؤمن ليس خائناً ولا كذاباً؛ لأن المصطفى ﷺ قال: «**يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب**»(١).

وهو المؤتمن كذلك على النفس والعرض والمال.

وكذلك إذا صاحبت المؤمن تخلقت بأخلاقه العظيمة، وحسن الخُلق من أكثر ما يثقل كفة الحسنات في موازين المؤمن يوم القيامة.

وقد أفلحت إن اتصفت بهذه الأخلاق يا عبد الله. أتدري لماذا؟ اسمع معي وتأمل قول المصطفى ﷺ: «**قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان وجعل قلبه سليماً ولسانه ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة**»(٢).

وإذا كان رسول الله ﷺ أوصاك بمصاحبة المؤمن فإنه يحذِّرك من مصاحبة غيره.

لأن النتائج ستكون عكسية تماماً وبدون مقارنة، وإذا كانت الخيانة والغدر من أهم صفات المنافق فإنه ﷺ يحذرك إذن من مصاحبته، وحسبك حتى تقف على خطورة المنافق أن تقرأ ما يلي:

قال ﷺ: «**أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى**

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن حبان.

يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»(١).

وقال ﷺ: «**ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلّى وحج واعتمر وقال إني مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»(٢).

واعلم بارك الله فيك أن العثور على الصديق المؤمن لم يعد ميسراً فهو عملة نادرة في زمننا هذا، لذا وددت أن أسرد لك بعض النصائح الواردة عن الحكماء في وصف الصديق الذي يجب عليك أن تصاحبه كما جاء في كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي رحمه الله: قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب التدين في الصديق فيما رواه سعيد بن المسيب قال: عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه. واعتزل عدوك.. واحذر صديقك إلا الأمين من القوم.. ولا أمين إلا من خشي الله.. فلا تصاحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى.

وقال علقمة العطاردي في وصيته لابنه حين حضرته

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

الوفاة: يا بني.. إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك، وإذا صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤونة مانك، اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن رأى سيئة سدها.. اصحب من إذا سألته أعطاك، وإذا سكت ابتداك، وإن نزلت بك نازلة واساك.. اصحب من إذا قلت صدّق قولك، وإن حاولتما أمراً أمّرك، وإن تنازعتما آثرك.

وقال بعض الأدباء:

لا تصحب من الناس إلا من يكتم سرك ويستر عيبك فيكون معك في النوائب، ويؤثرك بالرغائب، وينشر حسنتك، ويطوي سيئتك، فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك.

وقال بعض العلماء: لا تصحب إلا أحد رجلين: رجل تتعلم منه شيئاً في أمر دينك فينفعك، أو رجلًا تعلمه شيئاً في أمر دينه فيقبل منك، والثالث فاهرب منه.

فلاحظ يرعاك الله وتذكر قول رسول الله ﷺ: «**المرء على دين خليله.. فلينظر أحدكم من يخالل**»[1].

وقوله ﷺ: «**مثل الجليس الصالح كمثل المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من دخانه**»[2].

(١)(٢) رواه أبو داود.

«**ولا يأكل طعامك إلا تقي**»:

أخي في الإيمان..

لا تُدخل بيتك إلا التقي الذي يراقب الله سبحانه وتعالى في كل أفعاله كأنه يراه، والذي إن دخل بيتك لتناول طعامك الذي تدعوه إليه - مثلًا - كان غاضّاً لبصره بعيداً عن كل ما فيه جرح لشعورك وهتك لحرمتك. فإذا كان الرسول ﷺ يوصيك بهذا فإنه يحميك ويحمي بيتك من الخراب والدمار لأنه إذا دخل بيتك غير التقي واختلط بأسرتك كما يحدث الآن في هذا الزمان المريض كان سبباً في هدم سعادتك الزوجية والأسرية.

وتذكر يا أخي الكريم أن هذه النعمة من الطعام زاد يعينك على طاعة الله سبحانه وتعالى من الصلوات وسائر أنواع العبادات من الأقوال والأفعال.

فاحرص أن لا تدعو ليشاركك الزاد من الطعام والشراب أو الوليمة إلا إخوانك المتقين الذاكرين الذين يذكّرونك في الله سبحانه وتعالى فيكون لك في ذلك الأجر الكبير من العلي العظيم.. وبادر بتطبيق وصية رسول الله ﷺ وتذكّر قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف: ٦٧، ٦٨].

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياك منهم وأن يحشرنا وإياك في جنات النعيم.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

الحديث السادس

عن جابر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله** ﷻ».

[رواه مسلم وأبو داود].

أخي الحبيب..

انتفع بهذه الوصية العظيمة التي زوّد المصطفى ﷺ كل فرد من أمته بها قبل انتقاله إلى جوار ربه بثلاثة أيام كما يقول جابر بن عبدالله رضي الله عنهما راوي هذا الحديث. وإذا كان الرسول ﷺ يوصينا بأن لا نفارق الدنيا إلا ونحن نحسن الظن بربنا ﷻ، والذي يقول كما ورد في الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي...**»[1].

(١) رواه البخاري ومسلم.

فمن الخير أن تكون ممن حسن ظنهم بالله سبحانه وتعالى مهما كانت أخطاؤك ما دمت قد تبت إلى الله سبحانه وتعالى وندمت على ما فعلت..

وحسبك ترغيباً لك في هذا قول الله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر: ٥٣].

فقد روي أن السبب في نزول هذه الآية: أن قوماً قالوا: يا رسول الله يغفر لنا ربنا إن أسلمنا على ما كان منا من الكفر والقتال وغيره؟ فنزلت هذه الآية.

ويقول ثوبان رضي الله عنه: لما نزلت قال رسول الله ﷺ: «**ما أحب إن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية**».

ومعناها أن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب.

بل وحسبك يا عبد الله أن تقرأ هذا الحديث القدسي الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه: «**يقول الله تعالى: يا عبدي.. لم تقنط؟ أليس أنا الذي أظهرتك، وبأماني طوقتك.. ما لك تتجاهل علي كأنك ما عرفتني، وتتنحى كأنك ما وافقتني؟.. عبدي إن استقلتنا أقلناك، وإن تبت إلينا قبلناك، وإن عزمت على قصدنا أويناك، وإن اضطرب دليلك أريناك، وإن عاديت نفسك في حب ودّنا والياك، وإن بكيت لعوز دوائك داويناك، وإن بكيت لضرك شفيناك، وإن**

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

بكيت خشية أحضرناك، وإن بكيت خوفاً آمناك، وإن بكيت أسفاً على ما فاتك من حقوقنا عوضناك..».

فكن راجياً رحمة الله فهو كما رأيت صاحب الكرم والعطاء.

واعلم أن الرجاء هو حسن الظن بالله تعالى في قبول طاعة وفقت لها، أو مغفرة سيئة تبت منها. فلا يغرك الشيطان ويضيعك لأن الطمأنينة مع ترك الطاعات والإصرار على المعاصي والمخالفات هي الغرور فحسب..

وقد نهى الله تعالى عنه فقال: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣] يعني الشيطان.

فإنه يحسّن لك المعاصي وربما يجرك إلى ذلك برجاء عفو الله تعالى وكرمه، فانتبه يا عبد الله من هذا كل الانتباه وكن حريصاً بارك الله فيك.

وقد وصف الله تعالى الراجين بالمعنى الحقيقي فقال متحدثاً عنهم بأهم الأعمال التي يرجون رحمة الله تعالى بها: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

كم ذم الله سبحانه وتعالى من انقطع رجاؤه من فضله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

ورأيت في هذا العرض - حتى تكون من الذين يرجون تجارة لن تبور، وحتى لا تكون من الذين ذمهم الله تعالى - أن أسوق إليك هذه الأحاديث التي تشعل نار إيمانك فتحركها وفقك الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم**»(١).

وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله مائة رحمة.. أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام.. فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحوش على ولدها، وأخّر الله تسعاً وتسعين رحمةً يرحم بها عباده يوم القيامة**»(٢).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: قدم على رسول الله ﷺ بسبي.. فإذا امرأة من السبي تبتغي إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته. فقال لنا رسول الله ﷺ: «**أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار؟**» قلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»(٣).

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢)(٣) متفق عليه.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي**» وفي رواية: «**غلبت غضبي**» وفي رواية: «**سبقت غضبي**»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«**يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي ربي أعرف.. قال: فإني سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم.. فيعطى صحيفة حسناته. وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله**»(٢).

فثابر أخي في الله على العمل الصالح.. واعلم أن رحمة الله واسعة وهو الحليم على عباده الرؤوف بهم تبارك وتعالى.

وكن من أهل الفلاح.. واعلم أنك أيضاً من أهل الرحمة الذين أعد الله لهم في جنة الخلد ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

(١)(٢) متفق عليه.

واعلم أن هذه الدنيا دار ابتلاء إلى أن تموت.

وفي هذا يقول القائل:

إني ابتليت بأربع ما سلطوا

إلا بشدة شقوتي وعنائي

إبليس والدنيا ونفسي والهوى

كيف الخلاص وكلهم أعدائي

ولهذا لا بد وأن تكون مع الرجاء خائفاً من الله سبحانه وتعالى إلى أن تموت.. حتى تظل مشمراً عن ساعد الجد في طاعته سبحانه وتعالى..

فقد ورد في الحديث عنه ﷺ قال: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل.. ألا إن سلعة الله غالية.. ألا إن سلعة الله هي الجنة**»(١).

وتذكر هؤلاء واسمع:

كان إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام يسمع لقلبه أزيز إذا وقف يصلي كحس المرجل.. وكان كثير البكاء.. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود: ٧٥] فأتاه جبريل عليه السلام وقال له: الجبار

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

يقرئك السلام ويقول لك: هل رأيت خليلًا يخاف خليله؟ فقال: يا جبريل إذا ذكرتُ خطيئتي نسيت خلتي.

وكان داود عليه السلام إذا عوتب في كثرة بكائه يقول: دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء، وقبل انحراق العظام، واشتعال الحشا، وقبل أن يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وكان محمد عليه الصلاة والسلام وهو الذي غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر إذا وقف يصلي يسمع لدمعه وقع كوقع المطر.

وكان إذا تغيرت الريح تغير وجهه ﷺ ويتردد خارجاً وداخلًا خوفاً على أمته من عذاب الله تعالى. وورد عنه ﷺ أنه قال: «**ما جاءني جبريل قط إلا وهو يرعد فزعاً من الجبار** ﷻ».

فلاحظ بارك الله فيك مع الإحاطة بأن الخوف من مقام الله تعالى وحسابه يدعو إلى المواظبة على العمل والعلم لتنال رتبة القرب من الله تعالى، والخوف سوط الله تعالى يقوَّم به الشاردون عن بابه.. فمن خاف المقام بين يدي ربه يوم العرض، ونهى النفس عن هواها وردَّها عن غيِّها، فإن الجنة هي المأوى، وينبغي للمؤمن أن يكون كثير الفكر فيما بين يديه من الأهوال، كثير المحاسبة لنفسه

في عدّ نعم الله تعالى وعد جنايات نفسه ليدوم بذلك خوفه.. فإن الخوف إذا فارق القلب خرب.. والغالب على النفس الفتور والأمل والكسل عن الطاعات، والميل إلى الشهوات.. ودواء ذلك الخوف، فأما من دام عليه الخوف حتى مال إلى القنوط واليأس من رحمة الله تعالى فينبغي أن يداوى بالرجاء، ويذكر سعة رحمة الله تعالى.. فمثال الخوف والرجاء كمثال الحرارة والبرودة.. فمن غلب عليه أحدهما حتى خيف عليه الانحراف والتلف يداوى بالآخر حتى يرجع إلى حد الاعتدال.

واذكر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه: ٧٤ ـ ٧٦].

واسمع وتذكر:

إن كنت أذنبت فقم واعتذر
إلى كريم يقبل الاعتذار
وانهض إلى مولى عظيم الرجا
يغفر بالليل ذنوب النهار

وليكن نصب عينيك دائماً قول رسول الله ﷺ الذي

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

قاله في خطبته يوماً: «**ألا إن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر.. ألا وإن الآخرة وعد صادق، يقضي فيها ملك قادر.. ألا وإن الخير كله بحذافيره في الجنة.. ألا وإن الشر كله بحذافيره في النار، واعملوا وأنتم من الله على حذر، واعلموا أنكم معروضون على أعمالكم وأنكم ملاقو الله ربكم لا بد.. فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره.. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**»(١).

وعن عمران بن حصين قال: قال رجل: يا رسول الله.. أيُعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «**نعم**»، قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: «**كلٌّ يعمل لما خلق له أو لما يسِّر له**»(٢).

وعن علي رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ ومعه عود ينكت به في الأرض وقال: «ما منكم من أحد إلا كتب مقعده من النار أو من الجنة» فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: «**لا.. اعملوا فكل ميسَّر**»(٣) ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥ ـ ٧].

(١) رواه البيهقي في السنن (٣/٢١٦).
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه البخاري.

فأحسن الظن بالله وكن على يقين بأنه غفور رحيم، وأن رحمته شيء عظيم، ولا يصفها الواصفون فإنها رحمة واسعة وأوسع مما يتخيلها أحد كان من كان البتة.

وبعد وقوفك على هذا وحرصك على تحقيق وصية رسول الله ﷺ اسمع معي قول القائل:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرةً
فلقد علمتُ بأن عفوك أعظمُ
إن كان لا يرجوكَ إلا محسنٌ
فمن الذي يدعو ويرجو المجرمُ
أدعوك ربي كما أمرت تضرعاً
فلئن رددتَ يدي فمن ذا يرحمُ
ما لي إليك وسيلة إلا الرجا
وجميل عفوك ثم أني مسلمُ

اللهم أمتنا ميتة حسنة واجعلنا محسني الظن فيك يا رب العالمين.

❀ ❀ ❀

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
إهداء	٧
الحديث الأول	٩
الحديث الثاني	١٧
الحديث الثالث	٣٣
الحديث الرابع	٤٧
الحديث الخامس	٦٣
الحديث السادس	٦٩

www.dd-sunnah.net شبكة الدفاع عن السنة